رسـائل الحب

لفيكتور هوجو

أحب فيكتور هوجو، وملأ الحب فراغ ذهنه، واستأثر بعواطفه، وملك عليه مشاعره، وكان يبعث إلى تلك التى أحبها ثم خطبها لنفسه، الرسالة تلو الرسالة؛ وكانت تلك المحبوبة أو الخطيبة حاذقة لبقة، عرفت كيف تصون تلك الرسائل من العبث، فوضعتها فى مكان أمين حتى إذا ماقضى شاعرنا نحبه ظهرت تلك الرسائل كأثر فنى بديع، يترجم عن عواطف الشاعر الذى ملأ اسمه الدنيا، وردد ذكره كل لسان.

ويكفيك تعريفا بهذه الرسائل وقيمتها مناجاة فيكتور نفسه لها فى كتابه (اوراق الخريف) حينما كان قد جاوز سن الشباب.

قال يناجيها: —

يارسائلى المحبوبة!

ياتذكار الصبا!

ياترجمان الحب والفضيلة!

أهذه هى أنت؟ وهل حقا كنت قد خططتك بيدى؟

إذن فلأركع أمامك، وليطل ركوعى حتى اقرأك، لأنك سفر السعادة وتذكار الهناء.

من لى بمن يرجعنى، ولو يوما واحداً، إلى يوم سطرتك، ثم أعود كما أنا الآن الرزين العاقل لأستطيع أن أقارن بين عهدين، وأفاضل بين زمنين، ولأستشعر اللذة التى فقدتها، وليكن ما يكون بعد هذا.

هل كنت فى الثامنة عشرة من عمرى يوم كتبتك؟ وياترى كيف كنت وأنا أسطرك، وماذا كان مبلغ الامل والرجاء عند ما كنت أطرب لما سطرته أناملى؟

لقد كنت كلما زادت نشوتى نهنهنى أمل قد كان — وآسفاه — كاذبا، حتى لقد كانت تبدو فى سماء ذلك الأمل كواكب يلوح لى أن سأهتدى بها، ولكن سرعان ما كانت تختفى!

أيارسائلى! لقد خلقتك يدى بالأمس، فكنت أشبه ما أكون بالله لك، ولكننى صرت رجلا، ولا أدرى مم يخجل الرجل؟ وممن يخجل إذا أعاد ذكريات الصبا؛ ذلك الصبا المملوء بالاحلام والقوة والآمال؟ فأين أنت أيها الزمن يوم كان الشاب يقف فى مفترق الطرق كل مساء يستعرض الوجوه وجها وجها، ويتفرس فى الحلل حلة بعد حلة، عله يجد أثرا لفاتكته، ثم يعود إلى

بيته ولم تكتحل عينه برؤيتها، فيعمد إلى أثر من آثارها ينهال عليه تقبيلا، كذلك كنت من قبل، أشبع قفازاً لمعبودتى ـ كانت قد تركته لى ـ تقبيلا ، كأننى أقول مع القائل :

أقبله على الذكرى كأنى أقبل فيه فاك ومقلتيك

يا لزمان الصبا ، ما أجملك ! أنت زمن القوة ، والاخلاص ، والحب ، والتألق ، وعلو الهمة ، بل أنت زمن الطهارة أيضا، فيالأسفاه لفقدانك ، ومن لى بالعودة إليك !

***

تلك هى رسائل هوجو شاعر فرنسا : رسائل الحب ، رسائل الفضيلة ، رسائل الصبا التى حفظتها محبوبته بأوفر اعتناء ، والتى ترجمت عن عواطف وكشفت عن سر الصبا ، ها نحن نترجمها إلى اللغة العربية ليستطيع أن يقرأها من لم يسعده الحظ بقراءتها باللغة الفرنسية .

بل ها نحن نقدمها عظة للشبان وسلوى للشيوخ ، وآيات لأولى الألباب .

الرسالة الاولى

مساء السبت .. يناير سنة ١٨٢٠

معبودتى أديل !

صدرت منك ياسيدتى كلمات أثارت كامن عواطفى ، واهتاجت مشاعرى ، ولو أننى كنت بالأمس قضيت نحبى ما كان هناك شىء يبعث فى الحياة غير صوتك الحنون ، ولمسك الرقيق ، فروحى عالقة بك ، تحيا بهما .

إننى اليوم غيرى بالأمس، بالأمس كنت أتوق إلى الموت وأتمناه ، واليوم صرت أشعر بأننى يجب أن أعيش لك وبك ، وهبى أننى تصورت أنك لا تحبيننى فهل فى ذلك مايدعو إلى الموت؟ وهل أعيش أنا لنفسى أو لسعادتى الخاصة ؟

لا ، لا . إن نفسى يغمرها الاخلاص لك ، ولست أدرى بأى وجه أستحق حبك مع أننى لست إلها أو ملاكا ، بل كل مافى الأمر أننى عبدك، أكرس حياتى لخدمتك ، والدفاع عنك لقاء بسمة توجهينها إلى ، أو كلمة تقولينها لى .

إنك أملى فى الحياة ، بل إنك ربيع الحياة ، ولئن أظهرت عدم الاهتمام بى ، أو بدت البغضاء من فيك، فلن يكون أثر ذلك غير تعاستى وشقائى ، ولن يضيرك ذلك ياسيدتى ، ولكنه لا يجدر بك وأنت تعلمين وفائى وإخلاصى لك .

إن واجبى هو أن أتبع آثارك ، وأترسم خطواتك ، وأجتاز كل حاجز يحول بينى وبينك تلقاء أن تتخذى من ذراعى متكأ لك إذا سرت ، وأن تمنحينى نظرة عطف وإشفاق كلما التقيت بك ، وأن تذكرينى عند كربتك ، وأن تسمحى لى — إذا ما اشتهيت — أن أقبل موطىء

قدميك المعبودتين ، ولئن فعلت لذللت أمامى كل صعوبات الحياة ، وتلك هى السعادة التى أحلم بها وأرجوها .

ولئن كنت مستعداً لكل ذلك فهل أعتبرك ياسيدتى مدينة لى بشىء ؟ كلا! فلا ذنب لك لأنى أحبك؛ ولكن الذى أرجوه فى خضوع؛ ألا تهزئى باخلاصى ، وألا تستهينى بما أعرض عليك من خدماتى ، وإن كنت أرى أن ما أفعله يحسب تضحية بالنسبة لما يغمر قلبى من الغرام بك ، والحب لك .

لقد كان رأسى بالأمس عامرا بكل هاتيك الافكار، ولا تزال هى هى حتى هذه الساعة، وستظل ما تردد فى نفس ، وما دبت فى جسمى الحياة .

هل حقا يامعبودتى أنك تحبيننى ؟ قولى بربك: هل تجدين هذا الحلم اللذيذ يتحقق ، وهل لى إلا أن أتيه من الفرح إذا قدر لى أن أمضى حياتى تحت قدميك ، وأن أتأكد من سعادتك باجتماعنا كتأكدى من سعادتى بهذا الاجتماع .

آه ! يامعبودتى ، إن رسالتك أعادت إلى الراحة المفقودة ، وكلامك غمر قلبى بالفرح ، فألف شكر لك يا أديل ، ياملاكى المعبود .

إلى الملتقى ، إلى الملتقى ، وسأكون سعيداً هذه الليلة لأننى سأحلم بك ؛ فلتنامى هنيئة ، ولتمنحى زوجك القبلات الموعود بها، واسلمى للواله بك؟

(فيكتور)

الرسالة الثانية

الاثنين ٢٨ فبراير سنة ١٨٢٠

معبودتى أديل !

يؤلمنى يا عزيزتى أن يكون كتابى إليك ردا أو مناقشة، لما ظهر لى منك مساء أمس ؛ إن خطابك مهما أثار فى نفسى فهو عزيز لدى، لأن فيه برهانا جليا على ميلك إلى، أعترف ياسيدتى، فى غير إبهام ولا غموض، أننى كنت مخطئا وأنك كنت محقة ، وإننى أتقدم إليك مستغفرا عن هذه الخطيئة راجيا أن تغفرى ، فلست أنا الذى يتولى أمر القصاص منك ، بل لا أستطيع أن أعاقب روحى على شىء يصدر منها مهما كان عظيما ، وما روحى إلا أنت ايتها العزيزة ، فتحتم على أن أحميك ، وأصونك ، وأدفع عنك كل أذى .

تحدثى إلى دائما ياسيدتى عن كل مايقع لك أو منك، أخبرينى عما تفعلينه، صارحينى بما تفكرين فيه ، ففى ذلك حياة لقلبى المولع بك .

اسمحى لى أن اعتب عليك فى أمر صغير ، وتجاوزى عن هذا العقاب فان عين الحب نقادة : أعلم أنك تميلين إلى الرقص ولذلك ترتادين المراقص ، وقد صرحت أنت لى بذلك، فلم رفضت

دعوتى التى وجهتها إليك أخيراً ؟ أولم أتجنب من أجلك المراقص بأجمعها ؟ أولم أهجر كل مكان للهو تلبية لرغبتك ؟ ومع ذلك لم أعتبر هذا تضحية منى، لأنى أرى أن التضحية لا تكون إلا فى ترك شىء يسبب للنفس اللذة ويجلب لها السرور ؛ أما أنا فلذتى وسرورى فى وجودى بالقرب منك .

الحق يا سيدتى أننى كثير الغيرة ولكنى أكظمها فى نفسى، وأرى أنها يجب ألا تنتصر على الحب ، بل يجب أن أدع لك الحرية فى أن تتمتعى بما تجدين فيه أنت ولداتك مسرة ومرحا ، وإن كنت أعلم، أو على الاقل أظن، أنك ستجدين فى المجمع الزاخر بالفتيان من هو أنضر منى وأكثر ظرفا وتأنقاً ، ولكنى أعلل نفسى بأنك لن تجدى من وراء هذا الجمال الحنو الذى تتطلبين ، والطهارة التى تريدين .

لست أريد ياسيدتى أن أزعجك بسرد آلامى، فكل بغيتى أن تكونى أنت سعيدة، فالى الملتقى إذاً ، ولتتحدثى إلى كما قلت لك عن كل شىء ، وأملى أن تضرعى إلى الله أن يلهمنى الجرأة والحذر والصبر ، أو الحذر والصبر وحدهما ، فهما كل ما أتمنى، وإننى اكون فرحا كلما تصورت أنك لى ، وأنت فى الحقيقة لى رغما عن كل ما أتصوره من العقبات التى ستعترض سبيلنا ، ولكنك نعمة السماء الممنوحة لى ، فهأنا أنادى كما قال شارل السابع من قبلى : « ما وهبه الله لن ينزعه الشيطان » .

الوداع الآن، واسمحى لى أن أتخيل أننى أقبلك وأن هذه القبلة واحدة من عشرات تدين بها زوجة وفية لحبها المخلص ؟

(فيكتور)

الرسالة الثالثة

٢٠ مارس سنة ١٨٢٠

عزيزتى اديل !

أكتب إليك على رغم ما يحيط بى من ظروف محرجة ، وأرجو أن تكون التوكيدات التى تقدمت بها إليك كدليل على وفائى لك .

مرى وعلى أن أطيع لتتأكدى من هذا الوفاء ، ولتكونى مطمئنة البال ؛ فهأنا أقسم لك أنك كل شىء لى فى الحياة وأن مايسرك يسرنى ؛ ولقد كنت أود ياعزيزتى لو أستطيع أن أحضك على الصبر والاحتمال، ولكن عجز لسانى عن التصريح لك بهذا ؛ وفى مصلحتى أن أدعوك إلى هذا الصبر لتبتهجى وتفرحى ؛ لأن « ألمك يؤلمنى » كما أن ابتهاجك يسرنى ، وكفى ذلك ياصديقتى ، فليس من حقى فى هذه الرسالة إلا أن أتكلم عن نفسى ، وأعتقد اننى لن أكون تعساً قط لأننى أحبك، والحب ينبوع السعادة .

أستودعك الله راجيا أن تثق من وفائى لك ، وأن تجعلى قلبك عامراً بالثقة بى ، وانى سأمحو من ذهنى كل مانار بيننا ، وعليك أن تدللى على الوفاء بأن تكتبى إلى دائما ، وأن تكتبى فى حذر واحتياط ، وأن تحرقى جميع رسائلى إليك ، فذلك مايحتمه الحذر .

الوداع .. الوداع .. ياعزيزتى! ولتكتبى إلى، فرسائلك سر الحياة ؟ (فيكتور)

الرسالة الرابعة

٢١ مارس سنة ١٨٢٠

لم أستطع أن أبعث إليك برسالتى أمس، ولذا أضيف اليها هذه الأسطر :

أنا الآن وحيد أخلو بنفسى وذكرك يملأ خلايا ذهنى ، لذلك أنتهز هذه الفرصة لأكتب إليك ؛ وكم كنت أتمنى لو أنك كنت إلى جانبى فى هذه العزلة أناجيك عن كثب بمكنونات قلبى .

لم تأخرت عنى رسالتك فى يوم السبت المنصرم ؟ ألم تعترفى بأن لديك شيئاً تودين الافضاء به إلى، فلم لم تفعلى ؟ ذلك خطأ أرجو أن يمحوه ماستطرينه فى رسالتك القادمة ، وكم أنا فخور بايجاد طريق الى لومك لأنتهزها فرصة تمكننى من إطالة الكتابة حتى تشبع نفسى الظامئة اليك فى ترديد اسمك .

اعلمى ياسيدتى أنك خير منى آلاف المرات؛ ولكن على الرغم من ذلك فأنت لى... أستودعك الله الذى أرجو أن يمنحنا اجتماع لحظة نتسامر فيها ونشفى غليل أفئدة شفها الغرام ؟

(فيكتور)

ترجمها : جوزيف أبو رجيلى

المكتبة المحمودية التجارية

بميدان الازهر

لقد امتازت مكتبتنا بما تحتوى عليه من نفائس المؤلفات القديمة والحديثة وحسن المعاملة والقناعة فى الربح الصفتان اللتان عرفت بهما وهى مستعدة لتصدير كل ما يطلب منها إلى داخل القطر وخارجه بالجملة والقطاعى ، بغاية السرعة والاتقان .

جميع المخابرات باسم صاحبها (محمود على صبيح) صندوق بوسته رقم (٥٠٥) مصر